المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

تعظيم الله في التجويد

اسم الباحث

د/ شادي أحمد توفيق الملحم

د. شادي أحمد توفيق الملحم

تعظيم الله في التّجويد

ملخص البحث

يعد التجويد من أهم خصائص القرآن الكريم، ومن أسباب تعظيمه وتميزه عن بقية الكلام، وأحكام التجويد وقواعده في معظمها تعتمد علىٰ اللفظ والحروف، وهذا هو المتلائم مع التجويد، إذ إن التجويد متعلق باللفظ، ولكن بعد التمعن والنظر في أحكام التجويد تبيّن أن ثمة أسباب تتعلّق بالمعنىٰ، ومن أبرزها ما سببه تعظيم الخالق سبحانه، وهذا مما يزيد التجويد أهمية، والأداء جمالًا، ويجعل القارئ يعيش مع القرآن ومعانيه، ويتأمل عظمة خالقه وهو يناجيه.

ويهدف هذا البحث إلىٰ دراسة عشرًا من مسائل التجويد والأداء، التي تقوم علىٰ أساس تعظيم الخالق سبحانه، وإن كان بعضها يخالف القواعد التجويدية العامة، والمسائل التي يدرسها البحث هي: مد التعظيم، مد التبرئة، السور الأربع الزهر، الوقف اللازم (ما يتعلّق بموضوع البحث)، خفض الصوت في القرآن عند قراءة كلام الكفار الذي ينافي تعظيم الخالق، أحكام الاستعاذة والبسملة (ما يتعلّق بموضوع البحث)، عدم السرعة في القراءة، إكمال قراءة السورة، اختصاص القرآن بالتجويد، آداب التلاوة عمومًا والتي تهدف إلىٰ تعظيم الخالق.

ولا تخفىٰ أهمية هذا البحث وجدته، إذ لم يسبق دراسة هذا الموضوع بهذه الصورة، وإن درست مسائل التجويد قديمًا وحديثًا، وسوف يسلك الباحث بإذن الله المنهج الاستقرائي، ليستخرج مسائل التجويد التي تهدف إلىٰ تعظيم الخالق سبحانه، ثم المنهج التحليلي لدراسة تلكم المسائل دراسة وافية.

الكلمات المفتاحية: التعظيم، التجويد، الأداء.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نبيه محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين،،

وبعد؛ فإن تعظيم القرآن من تعظيم الخالق سبحانه وتعالىٰ، فقد عظّم السابقون القرآن فقرؤوه كما نزل غضًا طريًا، فكان هذا سبيل التدبر والفهم، وهذا الفهم سبيل العمل والتطبيق، وهذا العمل سبيل العزة والكرامة والرفعة، وشتان بين مَن قرأ القرآن معظّمًا له، خاشعًا في تلاوته، باحثًا عن الهداية، وبين مَن قرأه لاهيًا هاذًا باحثًا عن آخر السورة، قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ، فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ»[1]. وقال محمَّد بن نصر المروزيُّ: «وأما النصيحة لكتاب الله، فشدة حبه، وتعظيم قدره، إذ هو كلام الخالق»[2].

والأمة عظيمة ما عظّمت كتاب ربها، وضائعة ما لم تعظّمه وتقدّره، قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»[3]، قال القرطبيُّ معقِّبًا عليه: «يشرف ويكرم في الدنيا والآخرة، وذلك بسبب الاعتناء به والعلم به»[4].

ومجالات تعظيم الخالق سبحانه كثيرة متنوعة، وكذا تعظيم القرآن الكريم، ولعلّ من أبرزها ما يتعلّق بأحكام التجويد وأداء تلاوة القرآن، مع أن غالب أحكام التجويد تتعلّق باللفظ، إلا أنه ثمة أسباب معنوية لبعض تلكم الأحكام ومنها: ما يختص بتعظيم الخالق.

فجاء هذا البحث ليدرس عشر مسائل من أحكام التجويد وما إليه، مبينًا وجه تعظيم الخالق سبحانه فيها، مسطرًا أهمية التعظيم في التجويد.

أهمية البحث وسبب اختياره:

١- حاجة الناس عمومًا، وطلاب العلم خصوصًا إلىٰ تعظيم ربهم، والاعتناء بهذا الجانب المهم.

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ١٣١.)

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٩٣).

(٣) رواه مسلم (٨١٧).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٤٤٦).

٢- انتشار ظاهرة قراءة القرآن بسرعة مخلة، مما يؤثر في صحة اللفظ وتداخل الحروف، وعدم التدبر، وقلة تعظيم القرآن.
٣- اعتقاد كثير من طلاب العلم أن مسائل التجويد تقوم علىٰ أسباب لفظية فقط، وليس للجانب المعنوي أثر فيها.

أهداف البحث:

١- بيان أهمية التجويد والأداء القرآني في تعظيم الخالق سبحانه.
٢- دراسة عشرة نماذج من مسائل التجويد والأداء القرآني عند القرّاء، من حيث إسهامها في تعظيم الخالق سبحانه.
٣- إثراء الجانب العملي والاستنباطي في مسائل علم التجويد.
٤- رفد المكتبة التجويدية بدراسة جديدة، وفتح باب لطلاب العلم لدراسة مثل هذه النماذج من البحوث.

الدراسات السابقة:

مسائل وأحكام التجويد بحثت كثيرًا، وفيها عشرات الكتب قديمًا وحديثًا، ما بين مطوّل ومختصر، أما موضوع هذا البحث: تعظيم الخالق في التجويد، فلم أجد مَن خصّه بدراسة أو بحث، وذلك بعد البحث في المظان، وسؤال أهل الخبرة والدراية في ذلك.

حدود البحث:

هذا البحث محدد بدراسة عشر مسائل من أحكام التجويد وأداء تلاوة القرآن وهي: مد التعظيم، مد التبرئة، الوقف اللازم، السور الزهر، بعض أحكام الاستعاذة والبسملة، التلاوة بالتجويد، بعض آداب التلاوة، إكمال قراءة السورة، عدم السرعة في القراءة، خفض الصوت أو رفعه عند بعض الآيات، ولا يبحث في غير تلكم المسائل.

منهج البحث:

تتمثل المنهجية بحول الله في المنهج الاستقرائي؛ حيث تتبع الباحث مسائل وأحكام التجويد، واستخرج منها بعض النماذج علىٰ تعظيم الخالق سبحانه وتعالىٰ، وكذلك المنهج التحليلي؛ حيث قام الباحث بدراسة تلكم المسائل وبيّن وجه تعظيم الخالق فيها، مع الالتزام بأصول البحث العلمي.

خطة البحث:

لقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، علىٰ النحو الآتي.

- المقدمة: وفيها استعراض أدبيات البحث.
- التمهيد: تعظيم القرآن الكريم.
- المبحث الأول: نماذج من تعظيم الله في أحكام التجويد، وفيه خمسة مطالب:
- المطلب الأول: مد التعظيم.
- المطلب الثاني: مد التبرئة.
- المطلب الثالث: الوقف اللازم.
- المطلب الرابع: السور الزهر.
- المطلب الخامس: بعض أحكام الاستعاذة والبسملة.
- المبحث الثاني: نماذج من تعظيم الله في الأداء القرآني.
- المطلب الأول: التلاوة بالتجويد.
- المطلب الثاني: بعض آداب التلاوة.
- المطلب الثالث: إكمال قراءة السورة.
- المطلب الرابع: عدم السرعة في القراءة.
- المطلب الخامس: خفض الصوت أو رفعه عند بعض الآيات.
- الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج وأهم التوصيات.

التمهيد: تعظيم القرآن الكريم

فإن تعظيم الخالق سبحانه من المطالب العالية، والدلائل الواضحة علىٰ رسوخ الإيمان في قلب المسلم، وتعمق الأدب في سلوكه، وإن مجالات تعظيم الخالق كثيرة متنوعة، لعل من أبرزها تعظيم كتابه الكريم، الذي هو كلام الله سبحانه وتعالىٰ، لهذا نجد أن الله سبحانه وتعالىٰ عظّم كتابه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت]، وأمر بتعظيمه، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

والمتتبع لمجالات وصور تعظيم القرآن، يجدها كثيرة متعددة من لدن تنزله من الله سبحانه إلىٰ يومنا هذا، بل إلىٰ أن يرث الله الأرض ومَن عليها، ومن هذه الصور الواضحة لتعظيم الخالق لكتابه الكريم: تعدد تنزله، فقد نزل إلىٰ اللوح المحفوظ أولًا، ثم إلىٰ السماء الدنيا، ثم إلىٰ قلب أفضل الخلق محمد ﷺ[1]، واختار ربنا سبحانه وتعالىٰ أفضل الملائكة لإنزاله علىٰ قلب أفضل البشر، قال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء].

وإذا كانت صور وطرق الوحي متعددة -من رؤيا صالحة، أو إلهام، أو تكليم- فإن نزول القرآن الكريم كله، كان مباشرة علىٰ قلب النبي ﷺ، وفي هذه الطريقة فوائد كثيرة تدل علىٰ تعظيم القرآن الكريم[2]، ومن صور تعظيم الخالق لكتابه الكريم أيضًا: تشييع الملائكة لبعض سوره عند نزولها، كالأنعام ويونس وغيرها[3]، ومن الصور أيضًا أن الله سبحانه وتعالىٰ، أمر أن لا يمس القرآن إلا طاهر ومتوضئ[4]، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة].

فإذا كانت هذه الوجوه في تعظيم الخالق سبحانه لكتابه الكريم -وهذا غيض من فيض-، فإن الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، ومَن بعدهم من التابعين والعلماء، اعتنوا بتعظيم القرآن أيما عناية، وصور ووجوه تعظيمه عندهم كثيرة جلية، أذكر بعضًا منها علىٰ سبيل المثال:

---

(١) انظر: جمال القراء (١/ ١٥٢-١٥٣).

(٢) انظر الوجيز في علوم القرآن العزيز (٥٦- ٥٧).

(٣) انظر: جمال القراء (١/ ٢٤٦- ٢٥١).

(٤) هذا رأي جمهور العلماء، انظر: التمهيد (٧/ ١٦٣)، ومجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٢١/ ٢٦٦).

صونه عن النجاسات وأماكن القاذورات[١]، وعدم مد الرجلين إلىٰ جهته زيادة في التعظيم والإجلال[٢]، وعدم السفر به إلىٰ أرض العدو[٣]، حتىٰ لا يدنس أو يهان، والأمر أبعد من ذلك، فقد كرهوا كتابته بخط دقيق أو صغير[٤]، ووجوه تعظيمه عندهم أكثر من أن تحصىٰ، وقد ذكر صاحب الدروس المهمة في شرح الدقائق المحكمة، نقاطًا كثيرة في تعظيم القرآن الكريم، يرجع إليها مَن أحب الاستزادة[٥]، فالمقام لا يتسع إلىٰ أكثر من ذلك،

لكل هذه الوجوه في التعظيم للكتاب الكريم، فلا غرابة أن يكون صاحب القرآن معظمًا مبجلا، فمنزلة صاحب القرآن مستمدة من عظمة ومنزلة القرآن الكريم، والأحاديث والأخبار الواردة في فضل صاحب القرآن وتقديمه عن غيره كثيرة معلومة[٦].

(١) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (١٩١).
(٢) انظر: كشاف القناع (١/ ١٢٦)، والبرهان في علوم القرآن (١/ ٤٧٨).
(٣) فقد نهىٰ رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلىٰ أرض العدو. أخرجه البخاري (٢٩٩٠)، ومسلم (١٨٦٩).
(٤) فقد روي عن إبراهيم النخعي كراهية ذلك، وقال: «عظّموا كتاب الله». انظر: حلية الأولياء (٤/ ٢٣٠)، وكذلك ورد عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: فضائل القرآن (١٢٠)، وكتاب المصاحف (٥٠٨).
(٥) دروس مهمة في شرح الدقائق المحكمة (٣٩-٤١).
(٦) انظر علىٰ سبيل المثال: أخلاق حملة القرآن (٩٥ -١٠١)، وجمال القرآء (١/ ٢٨٤-٢٩٣)، وفضائل القرآن (٢٠٠- ٢٠٨).

المبحث الأول: نماذج من تعظيم الله في أحكام التجويد

وفيه خمسة مطالب:

لأحكام التجويد قواعد مطردة، ومعظم هذه القواعد لفظي متعلق بالحروف ومخارجها وصفاتها، كالإدغام والإظهار، والمد والقصر، والإمالة والتسهيل والإبدال وغيرها، ولكن ثمة أسباب معنوية أسهمت في بعض قواعد التجويد، وأرست أسسه ومبادئه، وفي هذا المبحث يدرس الباحث خمسة نماذج من تلكم الأحكام التي سببها الجانب المعنوي، وتحديدًا جانب تعظيم القرآن الكريم، والخالق سبحانه وتعالىٰ، وتنزيههما عن صفات النقص، وتبرئتهما عمَّا لا يليق بحقهما.

وفي هذه النماذج -والتي ليست للحصر- دليل عملي علىٰ أهمية التجويد في تعظيم الخالق سبحانه وكتابه الكريم، كما تدل علىٰ وقوف الجانب المعنوي والجانب اللفظي جنبًا إلىٰ جنب في إرساء قواعد التجويد، مما يساعد علىٰ تدبر القرآن وتربية القارئ، كما تساعده علىٰ سلامة النطق وحسن التلاوة.

المطلب الأول: مد التعظيم

يقسم المدّ إلىٰ قسمين رئيسين؛ الطبيعي والفرعي، أما الطبيعي: فهو ما لا يتوقف علىٰ سبب، وأما الفرعي فهو ما يتوقف علىٰ سبب من همز أو سكون[1]، وعليه فإن سبب المدّ الفرعي: لفظي، ولكن ثمة سبب معنوي للمدّ عند بعض القرّاء، والذي عنون له ابن الجزري في كتابه (النشر): «السبب المعنوي»، وقال فيه: «فهو قصد المبالغة في النفي، وهو سبب قوي مقصود عند العرب، وإن كان أضعف من السبب اللفظي عند القرّاء، ومنه: مدّ التعظيم في نحو: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢٢] ، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وهو قد ورد عن أصحاب القصر في المنفصل بهذا المعنىٰ»[2].

فمدّ التعظيم: إشباع المد لمن يقصر المنفصل في(لا) النافية في كلمة التوحيد، بقصد المبالغة في النفي، ومقداره ألِفان[3]، ويسمّىٰ مد التَّعظيم أيضًا بمدّ المبالغة، قال ابن مهران: «إنّما سمي مدّ المبالغة، لأنه طلب للمبالغة في نفي إلهية سوىٰ الله سبحانه، وهذا مذهب

---

(١) انظر: الحواشي المفهمة (٢٤٩).

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٣) انظر: القول الأصدق (٩)، وهداية القاري (١/ ٢٧٦)، ومقدمات في علم القراءات (١٣١).

معروف عند العرب، لأنها تمد عند الدعاء وعند الاستغاثة وعند المبالغة في نفي شيء، ويمدون ما لا أصل له بهذه العلة، والذي له أصل أولىٰ وأحرىٰ»[١].

وثبت مد التعظيم من طريق (الطيبة)، وليس من طريق (الشاطبية)، وله شروط، وهي باختصار: عند قالون وورش من طريق الأصبهاني، وأبو عمرو وهشام وحفص، ثلاثة شروط: قصر المنفصل، وإشباع المتصل، والغنة في اللَّام والرَّاء، وأمّا عند ابن كثير ويعقوب؛ فمدّ التّعظيم له شرطان؛ قصر المنفصل، وإشباع المتصل[٢].

وليس الهدف من البحث هنا بسط القول في مدّ التعظيم ومسائله وأحكامه[٣]، وإنما المراد إثبات أن تعظيم الخالق من أسباب بعض أحكام التجويد كالمدّ، وأن التجويد يهدف إلىٰ هذا المطلب الجليل والخلق النبيل، ومد التعظيم من أوضح الأمثلة علىٰ ذلك اسمًا ومعنىٰ، ويدل عليه قول النَّوويِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالتدبر في الذكر مطلوب، كما هو مطلوب في القراءة، لاشتراكهما في المعنىٰ المقصود، ولهذا كان المذهب الصحيح المختار: استحباب مدّ الذَّاكر قول: لا إله إلا الله، لما فيه من التدبر، وأقوال السَّلف دائمة الخلف في هذا مشهورة، والله أعلم»[٤].

المطلب الثاني: مد التبرئة

وهو مد (لا) النافية للجنس، إذا كان اسمها نكرة مبنيًّا، وليس فيه سبب لفظي نحو: ﴿لَا رَيْبَ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١][٥].

قال ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقدر المدّ في ذلك فيما قرأنا به؛ وسط لا يبلغ الإشباع»[٦].

ومدّ التبرئة ورد في قراءة سبعية متواترة، ليست بشاذة، فقد جاءت عن الإمام حمزة في أحد الوجهين عنه من طريق (طيبة النشر)، وقد قال الإمام حمزة عن نفسه: «ما قرأتُ حرفًا من

---

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٩٣).

(٢) الفرقان المبين (٦٩٣).

(٣) للعلماء تفصيل في اجتماع مد التعظيم مع المد المنفصل لحفص عن عاصم من طريق (الطيبة)، قال الشيخ عثمان راضي السنطاوي:

وَوَسِّطْ لِتَعْظِيمٍ بِقَصْرٍ لِمُنْفَصِلْ وَسَوِّهِمَا مَعًا يَصِحُّ لِمَنْ تَلَا

انظر: متن النفائس المطربة (٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٢٤).

(٤) الأذكار النووية (٥٤).

(٥) جهد المقل (٣٣٧)، وهداية القاري (١٢٧٧).

(٦) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٩٥).

كتاب الله إلا بأثر»[١]، وأمَّا إذا كان اسم (لا) النافية للجنس منوّنًا، فذهب الجمهور إلىٰ عدم مدّه، فلا يوجد فيه مدّ تبرئة، وأثبته النّويري، وذلك في نحو: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقد ردّ مُلا القاري مدّ التبرئة واصفًا إيَّاه بأنَّه رواية شاذة عند أهل الدِّراية، وحُجّته في ذلك: عدم وروده من طريق (الشَّاطبية)، كما ردَّ أيضًا مدَّ التعظيم لأصحاب قصر المنفصل لنفس السَّبب[٢]، وأفضل مَن ردَّ عليه العلامة المرصفي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «وأمَّا عن عدم ورود هذين المدَّين من طريق (الشَّاطبية)، فلا يمنع ورودهما وصحّتهما من طريق غيرها كـ (النشر وطيبته)، وكم من قراءات لا يأتي عليها العدّ صحَّت واستفاضت وتواترت عن الأئمة السَّبعة من غير طريق (الشَّاطبية)، وتلقتها الأُمَّة بالقبول ولم تقلل من شأنها، ومَن قرأ كتاب (النشر) لابن الجزري عرف ذلك، والذي يظهر أنَّ ملا القاري لم يقرأ بما جاء في كتاب (النشر)، ولو قرأ القرآن الكريم بما جاء فيه، لم يرد المدّ للتعظيم لأصحاب القصر في المنفصل، ولم يحكم بشذوذ قراءة حمزة بمدّ التبرئة، وكأنَّه يرىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ كلّ قراءة جاءت من غير طريق (الشَّاطبية) عن الأئمة السَّبعة، فهي قراءة شاذة» [٣].

وهذا المدّ منتشر في القرآن الكريم، فقد أحصىٰ صاحب كتاب (الفرقان المبين لإفراد وجمع أصول القراءات العشر المتواترة)، أكثر من ستِّين موضعًا[٤]، وهذا ممّا يثبت أيضًا أنّ تعظيم الخالق -سبحانه- وتبرئته عن النَّقص من أهداف ومقاصد التجويد وأحكامه؛ إذ إنَّ معظم هذه المواضع تبرئ الخالق -سبحانه- أو كتابه الكريم عن النَّقص، وتنزِّههم عن الشَّكِّ والرَّيب، نحو: ﴿لَا رَيْبَ﴾[البقرة: ٢]، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[يونس: ٦٣]، ولا يخفىٰ أن سبب المدّ هنا معنويٌّ وليس لفظيًا، كسائر المدود، وهذا السَّبب المعنوي، لتعظيم الخالق فيه نصيبٌ كبير.

المطلب الثالث: الوقف اللازم

أو ما يُسمَّىٰ: (وقف البيان)، وهو: ما قد يوهم خلاف المراد إذا وُصل بما بعده، وعرّفه المرعشيُّ بأنَّه: ما لو وُصِل طرفاه أوهم معنًىٰ غير المراد[٥].

---

(١) انظر: معرفة القرّاء الكبار (٩٥)، وغاية النهاية (١٦٣).
(٢) المنح الفكرية (٢٧٦).
(٣) بتصرف من هداية القاري (١/ ٢٧٨).
(٤) الفرقان المبين (٣٩١-٣٩٣).
(٥) انظر: الوقف والابتداء (١٠٥)، وشرح المقدمة الجزرية (٥٧٠).

وعدد المواضع المتفق عليها في الوقف اللازم في مصاحف: الحرمين (مصر)، المدينة النبوية (مجمع الملك فهد/ المملكة العربية السعودية)، غار حراء (الشام)، الباكستاني (الباكستان): عشرون موضعًا، وثمة مواضع أخرىٰ انفرد بها بعض المصاحف أو أكثر مما سبق ذكره حتىٰ وصل العدد في بعض المصاحف إلىٰ ستَّة وستِّين موضعًا[١].

وهذا الاختلاف في عدد المواضع يرجع إلىٰ تقدير اللجان المكلّفة بوضع علامة الوقف اللازم في المصحف، فاختلاف العلماء في المعنىٰ، أو في حدوث اللبس فيما لو وصل القارئ، يؤدي إلىٰ الاختلاف في وضع علامة الوقف اللازم من عدمه، ويرمز للوقف اللازم في المصاحف بحرف (مـ).

والملاحظ في مواضع الوقف اللازم، أن تعظيم الخالق سبحانه وتعالىٰ من أهم الأسباب وأبرزها لهذا الوقف، إذ لو وصل القارئ قد يفهم من الكلام ما لا يليق بحق الخالق سبحانه، أو قد يفهم معنىٰ غير مراد، فجاء الوقف اللازم للمساعدة علىٰ فهم المراد، والخروج من اللبس الذي قد ينشأ من الوصل، وكذلك لتعظيم الخالق سبحانه عمّا لا يليق بكمال صفاته وعلي أسمائه، ومن أبرز الأمثلة علىٰ الوقف اللازم الذي يكون تعظيم الخالق هو السبب فيه قوله تعالىٰ:

- ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [النساء: ١١٧].
- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وتعظيم الخالق في الوقف في المثالين السّابقين وفي غيرهما؛ واضح جلي[٢].

المطلب الرابع: السور الزهر

للقرّاء بين سور القرآن ثلاثة أوجه: البسملة، السكت، الوصل[٣]، وذلك بين جميع سور القرآن الكريم، إلا (سورة التوبة) لعدم وجود البسملة فيها.

---

(١) انظر: الوقف اللازم في القرآن الكريم (١٣)، ويعتبر (مصحف الأزهر) أكثر المصاحف في وضع إشارة الوقف اللازم، فعدّها الباحث ووجدها ستة وستين موضعًا.

(٢) للاطلاع علىٰ المواضع العشرين للوقف اللازم في (مصحف المدينة النبوية)، انظر: مشكاة المريد (٢٢١-٢٢٨).

(٣) انظر: المصباح الزاهر (٢/ ٧٩٤-٧٩٦)، والنشر (٢/ ١١٨)، والبدور الزاهرة (١/ ١١٢).

واختار بعض أهل الأداء الفصل بالبسملة بدل السكت لمن يسكتون بين السور -ورش وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب-، وذلك في أربعة مواضع تسمىٰ: الأربع الزهر أو الأربع الغرّ، وهي: بين المدثر والقيامة، وبين الانفطار والمطففين، وبين الفجر والبلد، وبين العصر والهمزة، -وقيل بإضافة موضع خامس بين القدر والبينة[١]-، قال الشاطبي[٢]:

وَسَكْتُهُمُ الْمُخْتارُ دُونَ تَنَفُّسٍ وَبَعْضُهُمُ فِي الأَرْبَعِ الزُّهْرِ بَسْمَلَا

لَهُم دُونَ نَصٍ وَهُوَ فِيهِنَّ سَاكِتٌ لِحَمْزَةَ فَافهَمْهُ وَلَيْسَ مُخَذَّلَا

وهذا الاختيار لا نصّ عليه، وإنما هو استحباب من بعض أهل الأداء[٣]، وذلك إبعادًا لآخر السور التي تسبق الزهر عن كلمتي: (لا)، (ويل)، اللتين تبدأ بهما السور الزهر، قال المارغني: «وإنما فصلوا بين ما ذكر لقبح اللفظ في الوصل من دون بسملة، ووجه القبح كما قالوا: إن التالي إذا وصل المغفرة بلا (آخر المدثر بأول القيامة)، فكأنه نفىٰ المغفرة الثابتة لله لا لاتصالها بالمغفرة في لفظه، وإذا قال: وادخلي جنتي لا (آخر الفجر بأول البلد)، فكأنه نفىٰ ما ثبت من دخول الجنة، وإذا قال: والأمر يومئذ لله ويل (آخر الانفطار بأول المطففين)، وتواصوا بالصبر ويل (آخر العصر بأول الهمزة)، قرن الويل المذموم باسم الله، وبالصبر الممدوحين»[٤].

وقال الدَّاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان بعض شيوخنا يفصلوا في مذهب هؤلاء بالبسملة بين المدثر والقيامة، والانفطار والمطففين، والفجر والبلد، والعصر والهمزة، ويسكت بينهن سكتة في مذهب حمزة ، وليس في ذلك أثر يروىٰ ، وإنما هو استحباب من الشيوخ»[٥]، فاعتمد الداني -رَحِمَهُ اللَّهُ- لورش في هذه السور إثبات البسملة، لأن مذهبه بين السورتين: السكت، فمن كان مذهبه السكت، بسمل بين هذه السور الأربع، وهذه البسملة ما هي إلا استحباب من العلماء، والراجح السكت في هذه السور كغيرها من سور القرآن، كما أفاد الشيخ النحّاس -حفظه الله- بقوله: «فيكون السكت فيها كما في غيرها لورش، وهو الراجح في الأداء»[٦].

---

(١) انظر: كنز المعاني (١/ ١٩٠)، والفجر الساطع والضياء اللامع (١/ ٣٩١).
(٢) حرز الأماني (البيتان: ١٠٣، ١٠٤).
(٣) الوافي (٣٩).
(٤) النجوم الطوالع (٢٥).
(٥) التيسير في القراءات السبع (٤٣).
(٦) فيض الآلاء في الأوجه المقدمة لورش في الأداء (٥).

وهذا التفريق لهذه السور عن غيرها من سور القرآن إنما هو من تعظيم القرآن، وإبعاد ما قد يتوهم من معنىٰ غير مراد، وهذا الاجتهاد يدل علىٰ حرص العلماء والقرّاء علىٰ تحقيق هذا الهدف النبيل والخلق الجليل (تعظيم الخالق سبحانه)، كما اختار السَّكت لمن له الوصل بين السُّورتين فيهن لنفس الحكمة السابقة، وإن كان المختار والذي عليه أكثر المحققين: هو عدم التفرقة بين السور الزّهر وغيرها، لعدم وجود نصٍّ في ذلك[١].

المطلب الخامس: بعض أحكام الاستعاذة والبسملة

أحكام الاستعاذة والبسملة كثيرة مفصّلة في كتب التجويد، ولكن الكلام هنا عمَّا إذا كان أول الآية المبتدأ بها اسمًا من أسماء الله تعالىٰ، أو ضميرًا يعود عليه، نحو قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وقوله سبحانه: ﴿۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فُصِّلَت: ٤٧]، فللقارئ وجهان استحبابًا: أولهما: قطع الاستعاذة عن ما بعدها، أو الإتيان بصيغة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم)، وثانيهما: الإتيان بالبسملة بعد الاستعاذة.

وأمَّا إذا كان أول الآية المبتدأ بها اسم الشيطان، أو ضميرًا يعود عليه، نحو قوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١٨]، فعندئذ يستحب للقارئ عدم الإتيان بالبسملة، أو قطع البسملة عمّا بعدها[٢].

والحكمة في ذلك واضحة جلية، فمن تعظيم الخالق سبحانه أن لا نصل كلمة (الرجيم) آخر الاستعاذة، التي هي صفة للشيطان، بلفظ الجلالة، أو باسم من أسمائه سبحانه وتعالىٰ، أو حتىٰ بضمير يعود عليه، وذلك زيادة في التعظيم والتنزيه لله سبحانه، واستخدم ابن الجزري في التعليل للنهي عبارة مختصرة موجزة بقوله: «للبشاعة»[٣]، مع أن أحكام الاستعاذة ابتداءً، تجيز هذا الوصل في عموم الآيات.

وكذلك يقال في البسملة، فمن تعظيم الخالق سبحانه ألا نصل لفظ (الرحيم) آخر البسملة، التي هي صفة للخالق سبحانه، بلفظ الشيطان، أو ضمير يعود عليه، مع أن أحكام البسملة ابتداءً تجيز هذا الوصل، لكنه تعظيم الخالق سبحانه، يتجلّىٰ في طرق أداء القرآن وتجويده.

---

(١) انظر: الفجر الساطع (١/ ٣٨٨)، وهداية المريد (٥).

(٢) بتصرف من المنير في أحكام التجويد (٣٧)، وانظر: غيث النفع (٢٢)، والوسيط (١١٤).

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٣٠).

المبحث الثاني: نماذج من تعظيم الله في الأداء القرآني

إن تلاوة القرآن بأداء جميل، وتطبيق لأحكام التجويد، ليزيد القلب خشوعًا، وتعظيمًا لخالقه، والجوارح تواضعًا وأدبًا، والعين ذرفًا، قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]:

ولَو أَنَّ عَيْنًا سَـاعَدَتْ لَتَوَكَّفَتْ سَـحَائِبُهَا بِـالـدَّمْعِ دِيمًـا وَهُطَّلَا

وَلَكِنَّهَا عَن قَسْوَةِ الْقَلْبِ قَحْطُهَا فَيَا ضَـيْعَةَ الْأَعْمَارِ تَمْشِـي سَـبَهْلَلَا

وثمة نماذج كثيرة من الأداء القرآني، تظهر مدىٰ أهميتها في تحقيق تعظيم الخالق سبحانه وكتابه الكريم في حياة المسلم، وسيدرس هذا المبحث خمسة منها.

المطلب الأول: التلاوة بالتجويد

إنَّ قراءة القرآن بالتجويد طريق لصون اللسان عن اللحن في ألفاظ القرآن الكريم حال الأداء، وهو طريق لتعظيمه وتدبر معانيه، وتحقيق ذلك إنما يكون بتحقيق الألفاظ وتحسينها، فإن الألفاظ إذا أجليت علىٰ الأسماع، كان تلقي القلوب لها أبلغ، وكان إقبال النفوس عليها أبين، فيحصل حينها الامتثال لأوامره، والانتهاء عن نواهيه، والرغبة في وعده، والرهبة من وعيده، والتصديق بخبره، والحذر من إمهاله، وكل هذا يحقق تعظيمه في نفس المسلم[2].

وقال عطية قابل نصر: «ولقد أكد الله عز وجل الفعل وهو (رتّل) بالمصدر وهو (ترتيلا)، تعظيمًا لشأنه واهتمامًا لأمره، كما قال سبحانه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء]، أي: لتقرأه علىٰ الناس بترسل وتمهل، فإن ذلك أقرب إلىٰ الفهم، وأسهل للحفظ، والواقع أن هذه الصفة لا تتحقق إلا بالمحافظة علىٰ أحكام التجويد»[3].

فلكل هذه الحكم الجليلة والفوائد الكثيرة للتلاوة بالتجويد، نجد اختصاص قراءة القرآن دون غيره من نثر أو شعر، بأحكام التجويد، فهذا يعطيه استعدادًا نفسيًّا، وحضورًا عقليًّا، وتعظيمًا وجدانيًا، فلا غرو أن تكون قراءة القرآن بالتجويد فرض عين علىٰ كل مسلم ومسلمة، تحقيقًا لهذه المطالب العالية، والتي من أبرزها حصول التعظيم في قلب المؤمن[4].

---

(١) حرز الأماني (البيتان: ٨٢،٨٣).

(٢) بتصرف من الوسيط في علم التجويد (٨٨).

(٣) غاية المريد في علم التجويد (١٥).

(٤) لمعرفة أدلة تجويد القرآن، انظر: الطرازات المعلّمة (٥١)، وجهد المقل (٢٦٤)، والتجويد الميسر (١٦).

المطلب الثاني: بعض آداب التلاوة

لما كان القرآن الكريم أعظم كتاب أنزل علىٰ خير الأنبياء، فقد امتاز عن سائر الكتب بميزات كثيرة، لعل من أهمها: التعبد بتلاوته، قال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»[(١)]، وهذا ممّا يوضح عظمة القرآن، وعظيم أجره وثوابه.

وإنَّ لتلاوة القرآن الكريم آدابًا كثيرة -ليس المقام لبسطها-، ولكن المتأمل فيها، يلحظ أن تلكم الآداب، تهدف إلىٰ تعظيم القرآن الكريم وتعظيم الخالق سبحانه، بحيث يستشعر القارئ هيبة هذا الكتاب، ويستعد لتلاوته قبل البدء، ويتأدب أثناء التلاوة، فهو يقرأ كلام ربه سبحانه، مستشعرًا أن الله سبحانه يخاطبه، فالطهارة والوضوء[(٢)]، واختيار المكان المناسب[(٣)]، وتنظيف الفم[(٤)]، والاستعاذة والبسملة[(٥)]، كل هذا وغيره مما يزيد تعظيم القارئ للقرآن قبل أن يبدأ بالتلاوة، ويزيده استعدادًا وحضورًا وخشوعًا، ثم إذا شرع القارئ في التلاوة، يجتهد في تحسين صوته[(٦)]، ويتأول الآيات، ويتدبرها، ويمسك عن التلاوة إذا غلبه النعاس، أو خرج منه ريح[(٧)]، وغيرها من الآداب المعروفة.

---

(١) أخرجه الترمذيُّ (٢٩١٠)، وقال: «حسن صحيح»، وصحَّحه الألباني في (المشكاة: ٢١٣٧).

(٢) في الحديث: «إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا عَلَىٰ طُهْرٍ»، رواه أحمد (١٩٠٣٤)، وأبو داود (١٧)، والحاكم (٥٩٢)، وصححه الألباني في (الصحيحة: ٨٣٤).

(٣) في الحديث: «خير المجالس ما استقبلت به القبلة»، رواه الطبراني في (الأوسط: ٨٣٦١)، وحسَّنه الألباني في (الصَّحيحة: ٢٦٤٥).

(٤) عن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أُمِرْنَا بِالسِّوَاكِ»، وقال: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي أَتَاهُ الْمَلَكُ فَقَامَ خَلْفَهُ يَسْتَمِعُ الْقُرْآنَ وَيَدْنُو، فَلَا يَزَالُ يَسْتَمِعُ وَيَدْنُو حَتَّىٰ يَضَعَ فَاهُ عَلَىٰ فِيهِ، فَلَا يَقْرَأُ آيَةً إِلَّا كَانَتْ فِي جَوْفِ الْمَلَكِ»، رواه البيهقي في (السنن الكبرىٰ: ١٦٢)، وصحَّحه الألباني في (الصَّحيحة: ١٢١٣).

(٥) قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل]، وأمَّا البسملة؛ فلثبوتها في المصحف.

(٦) في الحديث: «ما أذن الله لشيء، ما أذن لنبي يتغنىٰ بالقرآن»، رواه البخاري (٥٠٢٤)، ومسلم (٧٩٢).

(٧) معنىٰ تأول القرآن: أن ينفذ ما فيه من أوامر في أثناء القراءة، فإذا مر بتسبيح سبّح، أو استغفار استغفر، وهكذا، عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَىٰ، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَىٰ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، =

كل هذه الآداب وغيرها مما يبيّن ضرورة تعظيم المسلم للقرآن، وهذه الآداب تؤخذ من مظانها في كتب التجويد، فيتعلمها طالب التجويد كما يتعلّم أحكام القراءة، وكلما زاد تمسك القارئ بهذه الآداب، زاد تعظيمًا لربه سبحانه وتعالىٰ، ولكتابه الكريم، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

المطلب الثالث: إكمال قراءة السورة

ويراد بهذا عدم قطع القراءة لكلام أحد من الناس، لعدم الانشغال عن القرآن أو تدبره، ولأن كلام الله ينبغي أن لا يؤثر عليه كلام غيره، ويؤيد هذا ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنه: « كان إذا قرأ القرآن، لم يتكلم حتىٰ يفرغ منه»[(١)].

وسئل ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عمن يقرأ من السورة آيتين، ثم يدعها، ثم يقرأ من غيرها، ثم يدعها، ويأخذ في غيرها، فقال: «ليتّقِ أحدكم أن يأثم إثمًا كبيرًا، وهو لا يشعر»[(٢)].

من الأثرين السابقين نخلص إلىٰ عدم استحباب قطع القراءة، أو الانشغال عن التلاوة لأي كلام خارج عن الآيات، إلا أن يكون تفسيرًا أو تجويدًا، أو استنباطًا، فهذا لا حرج فيه، بل هو مطلوب للتدبر، كما نخلص أيضًا إلىٰ كراهية عدم إكمال السورة، والاكتفاء ببعض آياتها، فهذا يمنع التدبر أيضًا.

ووجه التعظيم هنا واضح من جانبين؛ أولهما: ألا يؤثر القارئ كلامًا علىٰ القرآن الكريم، فالقرآن أعظم من ذلك، وثانيهما: ألا يدع إكمال السورة؛ تعظيمًا للقرآن، وحبسًا للنفس عن المشاغل، وإيثارًا لما هو خير وأبقىٰ، فإن غالب مَن يقطع قراءة السورة، يكون لأمر دنيوي عارض يمكن تأخيره، وأما الأمر الضروري فلا يتنافىٰ مع تعظيم الخالق سبحانه وكتابه الكريم.

وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ. رواه مسلم (٧٧٢). وقال تعالىٰ في الحثِّ علىٰ التّدبر: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، وانظر: إمداد القاري (١/ ٤٠٤). وجاء في غلبة النّعاس قوله ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِعْ» رواه مسلم (٧٨٧). وفي خروج الرّيح قال الإمام النَّوويُّ (التبيان: ١١٦): «إذا كان يقرأ، فعرض له ريح، فينبغي أن يمسك عن القراءة، حتىٰ يتكامل خروجها، ثم يعود إلىٰ القراءة.

(١) رواه البخاري (٤٢٧٦).

(٢) فضائل القرآن ومعالمه وآدابه (١٢٢)، وجمال القراء (١/ ٣٣٠).

المطلب الرابع: عدم السرعة في القراءة

من المعلوم أن مراتب القراءة ثلاث: التحقيق، والتدوير، والحدر، بحسب سرعة القارئ، وهذه المراتب طرق صحيحة لتلاوة القرآن، ولكن بشرط المحافظة علىٰ قواعد التجويد ومراعاتها[١] -ويرىٰ بعض العلماء: أنَّ التَّرتيل مرتبة رابعة بعد التَّحقيق-[٢]، قال ابن الجزري في (الطّيبة)[٣]:

وَيُقْرَأُ القُرْآنُ بِالتَّحْقِيقِ مَع ... حَدْرٍ وَتَدْوِيرٍ وَكُلٍّ مُتَّبَعْ

مَعْ حُسْنِ صَوتٍ بِلُحُونِ الْعَرَبِ ... مُرَتَّلًا مُجَوَّدًا بِالعَرَبِي

فهذه المراتب الثلاث لا إشكال فيها، فهي طرق أداء صحيحة، منقولة إلينا بالتواتر، وأما الحديث هنا عن القراءة السريعة التي يترك معها التجويد، بل وربما تداخلت الحروف مع بعضها، فضلًا عن البعد عن التدبر وفهم المقروء[٤].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ [القيامة]-، «كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي، كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه»[٥].

قال ابن كثير معقِّبًا عليه: «وفيه دليلٌ علىٰ استحباب ترتيل القراءة والتّرسل فيها، من غير هذرمة ولا سرعة مفرطة، بل بتأمل وتفكر»[٦].

وعن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلّىٰ في سبحته قاعدًا، حتىٰ كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبحته قاعدًا، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها، حتىٰ تكون أطول من أطول منها»[٧]، وفي رواية أخرىٰ: «حتىٰ تكون في قراءته أطول من أطول منها»[٨].

(١) انظر: التحديد في الإتقان والتجويد (٨٩).
(٢) انظر: الواضح في أحكام التجويد (١١).
(٣) طيبة النشر (البيتان: ٧٩- ٨٠).
(٤) انظر: الوسيط في علم التجويد (٢٤).
(٥) رواه البخاري (٥٠٤٤)، ومسلم (٤٤٨).
(٦) بتصرف يسير من فضائل القرآن (٢٣٥).
(٧) رواه مسلم (٧٣٣)، ومالك (٣٦٣).
(٨) أخرجه عبد الرزاق (٤٠٨٩)، والطبراني (٣١٨).

وقال ابن الجزري في معنىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزَّمل: ٤]: «أي: تلبّث في قراءته، وافصل الحرف عن الحرف الذي بعده، ولا تستعجل فتدخل بعض الحروف في بعض»[(١)].

ووجه الدلالة: أن من تعظيم القرآن الكريم؛ قراءته بتلبث ووضوح في المخارج، وتطبيق لأحكام التجويد، إذ إن القرآن ليس كغيره مما يُقرأ، فإن مَن قرأ بسرعة دون نطق صحيح للحروف أو تجويد أو تأمل، فقدَ تعظيم القرآن الكريم في قلبه وجوارحه.

المطلب الخامس: خفض الصوت أو رفعه عند بعض الآيات.

لا شك أن رفع الصوت بقراءة القرآن وخفضه من المباح، وحال القارئ ومَن حوله والمكان الذي يقرأ فيه، كل ذلك يرجح تفضيل الرفع أو الخفض -وفي كلٍّ خير-، والتوسط في كل الأمور أفضل، فعن سعيد بن المسيّب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مرَّ رسولُ الله ﷺ بأبي بكر وهو يخافت، ومرَّ بعمرَ وهو يجهر، ومرَّ ببلال-رحمة الله عليهم- وهو يقرأ من هذه السُّورة، ومن هذه السُّورة، فقال لأبي بكر: «**مررتُ بكَ وأنت تخافت**»، فقال: إنِّي أُسمع مَن أُناجي، فقال: «**ارفع شيئًا**»، وقال لعمر: «**مررت بك وأنت تجهر**»، فقال: أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان، فقال: «**اخفض شيئًا**»[(٢)].

وقال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها -أي من المسائل الغريبة التي تدعو إليها الحاجة- أنَّه أي القارئ، إذا قرأ قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ [مريم]، ونحو ذلك من الآيات ينبغي أن يخفض بها صوته، كذا كان إبراهيم النخعي يفعل»[(٣)].

وأما رفع الصوت عند بعض الآيات فمن أمثلته: أنه يستحب للقارئ إذا قرأ قوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأعراف]، أن يرفع صوته[(٤)]، ولا يخفىٰ ما في الآية من تخويف من عذاب الله أن يحل بالقوم الظالمين، وهم في سبات عميق من الغفلة والنوم، فكأن القارئ عندما يرفع صوته، يوقظ هؤلاء النائمين، أو يحاول إيقاظهم، وفي ذلك تفاعل من القارئ مع الآيات.

---

(١) التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري، ١٥٢.
(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١٢١)، والحديث في سنن أبي داوود، بألفاظ متقاربة (٢/ ٨٢).
(٣) التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، ١٢٠.
(٤) انظر: جمال القراء (١/ ٣٧٨)، والدر المنثور (٣/ ٥٠٦).

ووجه الدلالة: أن تعظيم الخالق في هذه الآداب، وهذه الطريقة في الأداء، واضح ظاهر، فكأن القارئ يستحي من ذكر كلام الكفار واليهود المنافي لتعظيم الخالق سبحانه بصوت مرتفع، فيخفض صوته، كما أنه تعظيمًا لخالقه، يرفع صوته إظهارًا لقدرة الخالق سبحانه وشدة عذابه، وهذا من الأدب الرفيع، وإن لم يرد عن النبي ﷺ، إلا أن بعض العلماء تنبهوا له وأشاروا إليه، وطبقوه في قراءتهم.

الخاتمة

وفيها أبرز النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث:

- تعظيم الخالق سبحانه أصل مهم في عبادات وسلوك المسلم.
- جاء القرآن الكريم لكمال الأخلاق والأدب في سائر شؤون الحياة.
- للتجويد وطرق أداء القرآن سهم أصيل في تحقيق تعظيم الخالق سبحانه وتعالىٰ في حياة وسلوك المسلم.
- تعظيم الخالق في أحكام التجويد وطرق الأداء، واضح جلي في مسائل كثيرة، درس هذا البحث عشرًا من تلكم المسائل، وبيّن وجه التعظيم فيها.
- بعض مسائل وأحكام التجويد قامت علىٰ مبدأ تعظيم الخالق، كمد التعظيم، ومد التبرئة، والوقف اللازم، وبعض أحكام الاستعاذة والبسملة وغيرها، وهذا جانب معنوي، مع أن الغالب في مسائل التجويد الجانب اللغوي.
- لقراءة القرآن وفق أحكام التجويد أثر واضح في تأثيره علىٰ القارئ، وزيادة تدبره وفهمه وتعظيمه لكلام الله سبحانه.
- بعض مسائل وأحكام التجويد التي قامت علىٰ مبدأ تعظيم الخالق، جاءت من لدن النبي ﷺ، مما نقل عنه من وجوه القراءات وطرق الأداء كمد التعظيم والتبرئة وغيرها.
- للعلماء سهم مهم في إظهار تعظيم الخالق، من خلال بعض مسائل التجويد وأحكامه، مما لم يرد عن النبي ﷺ كبعض أحكام الاستعاذة والبسملة، والسكت عند السور الزهر، وبعض مواضع الوقف اللازم، وغيرها.
- في تعلم القراءات المتواترة إثراء لمسائل وأحكام الشريعة في مختلف جوانبها، والاكتفاء بقراءة أو رواية واحدة فيه تضييق لواسع.
- أهل القرآن هم أولىٰ الناس بتعظيم الخالق سبحانه من غيرهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وأما أبرز التوصيات التي تم التوصل إليها من خلال البحث فهي:

- ضرورة التجديد في الدراسات الإسلامية عمومًا، والقرآنية خصوصًا.

- توجيه طلاب الشريعة والباحثين فيها، إلىٰ بحث المسائل الشرعية بطرق مختلفة، لإبراز حكم الشرع وعظمة الإسلام.
- دراسة مسائل أخرىٰ في علم التجويد والقراءات، تدل علىٰ أهمية تعظيم الخالق سبحانه.

المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين، الغزالي، محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢- أخلاق حملة القرآن، الآجري، محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٧م.

٣- الأذكار النووية، النووي، يحيىٰ بن شرف (ت٦٧٦هـ)، تحقيق محي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ.

٤- إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري، الجابري، عبيد بن عبد الله، مكتبة الفرقان، عجمان، ط١، ١٤٢١هـ.

٥- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، النشار، عمر بن قاسم (ت٩٣٨هـ)، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.

٦- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.

٧- التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، يحيىٰ بن شرف (ت٦٧٦هـ)، تحقيق بشير عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، ط١، ١٤١٣هـ.

٨- التجويد الميسر، الحذيفي، د. علي بن عبد الرحمن وآخرون، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ط٢، ١٤٣٥هـ.

٩- التحديد في الإتقان والتجويد، الداني، عثمان بن سعيد (ت٤٤٤هـ)، تحقيق د. غانم الحمد، مطبعة الخلود، بغداد، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٠- تعظيم قدر الصلاة، المروزي، محمد بن نصر (ت٢٩٤هـ)، تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة النبوية، ط١، ١٤٠٦هـ.

١١- التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ. (مطبوع ضمن كتاب جامع المتون في تجويد القرآن الكريم).

١٢- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

١٣- التيسير في القراءات السبع، الداني، عثمان بن سعيد (ت٤٤٤ه)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ.
١٤- جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، علي بن محمد (ت٦٤٣هـ)، تحقيق عبد الحق عبد الدايم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، دت.
١٥- جهد المقل، المرعشي، محمد بن أبي بكر (ت١١٥٠هـ)، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٧ه. (مطبوع ضمن كتاب جامع المتون في تجويد القرآن الكريم).
١٦- حرز الأماني ووجه التهاني (متن الشاطبية)، الشاطبي، القاسم بن فيره (ت٥٩٠هـ)، ضبط محمد تميم الزعبي، مكتبة الهدىٰ، المدينة النبوية، ط٥، ١٤٢٧هـ.
١٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ
١٨- الحواشي المفهمة في شرح المقدمة، ابن الناظم، أحمد بن محمد (ت٨٢٧هـ)، تحقيق فرغلي عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
١٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
٢٠- دروس مهمة في شرح الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية، لاشين، سيد (ت١٤٣٢هـ)، مكتبة دار الزمان، المدينة النبوية، ط٤، ٢٠١١م.
٢١- السلسلة الصحيحة، الألباني، محمد ناصر الدين (ت١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.
٢٢- سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ)، علّق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ.
٢٣- سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسىٰ (ت٢٧٩هـ)، علّق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٢٩هـ.
٢٤- السنن الكبرىٰ، البيهقي، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.
٢٥- شرح المقدمة الجزرية، الحمد، أد. غانم قدوري، معهد الإمام الشاطبي، جدة، ط٢، ١٤٣٨هـ.

٢٦- صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، اعتنىٰ به عبد السلام علوش، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ.
٢٧- صحيح مسلم، ابن الحجاج، مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٤هـ.
٢٨- الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، الأزهري، عبد الدائم بن علي (ت٨٧٠هـ)، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ. (مطبوع ضمن كتاب هداية المريد إلىٰ شروح متن ابن الجزري).
٢٩- طيبة النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، تحقيق د. أيمن سويد، مكتبة ابن الجزري، دمشق، ط١، ١٤٣٣هـ.
٣٠- غاية المريد في علم التجويد، نصر، عطية قابل، مكتبة الحرمين، الرياض، ط٤، ١٩٩٣م.
٣١- غاية النهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، دار الخانجي، مصر، ط١، ١٣٥١هـ.
٣٢- غيث النفع في القراءات السبع، الصفاقسي، علي النوري (ت١١١٧هـ)، مطبعة مصطفىٰ البابي، مصر، ط٣، ١٩٥٤م.
٣٣- الفجر الساطع والضياء اللامع شرح الدرر اللوامع، القاضي، أبو زيد عبد الرحمن (ت١٠٨٢هـ)، تحقيق أحمد البوشيخي، المطبعة الوطنية، مراكش، ط١، ١٤٢٨هـ.
٣٤- الفرقان المبين لإفراد وجمع أصول القراءات العشر المتواترة، عبده، محمد، مطبعة الخط العربي، عمّان، ط١، ٢٠٠٦م.
٣٥- فضائل القرآن، ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، تحقيق أبو إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ.
٣٦- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)، تحقيق مروان العطية وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ.
٣٧- فيض الآلاء في الأوجه المقدمة لورش في الأداء، النحاس، علي بن محمد، دار الصحابة، طنطا، ط١، ٢٠٠٤م.
٣٨- القول الأصدق في بيان ما خالف فيه الأصبهاني الأزرق، الضبّاع، علي بن محمد (ت١٣٨٠هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، د.ط، ١٤١٩هـ.

٣٩- كتاب المصاحف، السجستاني، عبد الله بن سليمان (ت ٣١٦هـ)، تحقيق محب الدين السبحان، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ.
٤٠- ٤٠-كشّاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، منصور بن يونس (ت١٠٥١هـ)، تحقيق محمد الضناوي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
٤١- كنز المعاني شرح حرز الأماني، شعلة، محمد بن أحمد (ت٦٥٦هـ)، تحقيق أحمد القادري، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ.
٤٢- مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٥هـ.
٤٣- المستدرك علىٰ الصحيحين، الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
٤٤- المسند، الشيباني، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ.
٤٥- مشكاة المريد لإتقان أحكام التلاوة والتجويد، خطّاب، ياسر علي، دار الماهر بالقرآن، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ.
٤٦- مشكاة المصابيح، التبريزي، محمد بن عبد الله (ت ٧٤١هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.
٤٧- المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، الشهرزوري، المبارك بن الحسن (ت٥٥٠هـ)، تحقيق أد. إبراهيم الدوسري، دار الحضارة، الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ.
٤٨- المصنّف، الصنعاني، عبد الرزاق بن همّام (ت٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٤٩- المعجم الأوسط، الطبراني، سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ.
٥٠- المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد، دار إحياء التراث العربي، ط٢، د.ت.
٥١- معرفة القرّاء الكبار، الذهبي، شمس الدين محمد (ت٧٤٨هـ)، مكتبة دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط١، ١٩٦٩م.

٥٢- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، أحمد بن عمر (ت٦٥٦هـ)، تحقيق محي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
٥٣- مقدمات في علم القراءات، القضاة، د. أحمد محمد مفلح وآخرون، دار عمّار، عمّان، ط١، ١٤٢٢هـ.
٥٤- المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، القاري، علي بن سلطان (ت١٠١٤هـ)، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ. (مطبوع ضمن كتاب هداية المريد إلىٰ شروح متن ابن الجزري).
٥٥- المنير في أحكام التجويد، شكري، أد. أحمد خالد وآخرون، المطابع المركزية، عمّان، ط٢٢، ١٤٣٤هـ.
٥٦- الموطّأ، الإمام مالك، مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)، تحقيق د. بشّار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ.
٥٧- النجوم الطوالع علىٰ الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، المارغني، إبراهيم (ت١٣٤٩هـ)، تحقيق عمر الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م
٥٨- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، تحقيق د. خالد أبو الجود، دار المحسن، الجزائر، ط١، ٢٠١٦م.
٥٩- النفائس المطربة في تحرير أوجه الطيبة، السنطاوي، عثمان راضي (ت١٣٢٠هـ)، المطبعة التجارية، مصر، د.ط، د.ت.
٦٠- هداية القاري إلىٰ تجويد كلام الباري، المرصفي، عبد الفتاح السيد (ت١٤٠٩هـ)، دار الفجر الإسلامية، ط١، ١٤٢١هـ.
٦١- هداية المريد إلىٰ رواية أبي سعيد، الضباع، علي بن محمد (ت١٣٨٠هـ)، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، ط٤، ١٣٨٠هـ.
٦٢- الواضح في أحكام التجويد، القضاة، د. محمد عصام وآخرون، دار النفائس، عمان، ط٣، ١٤١٨هـ.
٦٣- الوافي في شرح الشاطبية، القاضي، عبد الفتاح (ت١٤٠٣هـ)، دار السلام، القاهرة، ط٢، ١٤٢٤هـ.
٦٤- الوجيز في علوم القرآن العزيز، العبيد، أد. علي بن سليمان، دار التدمرية، الرياض، ط٣، ١٤٣٦هـ.

٦٥- الوسيط في علم التجويد، منصور، د. محمد خالد، دار النفائس، عمّان، ط١، ١٤١٩هـ.
٦٦- الوقف اللازم في القرآن الكريم، القرش، جمال إبراهيم، دار ابن الجوزي، الدّمام، ط١، ١٤٢٥هـ.
٦٧- الوقف والابتداء، السجاوندي، محمد بن طيفور (ت٥٦٠هـ)، تحقيق د. محمد هاشم درويش، دار المناهج، عمّان، ط١، ٢٠٠١م.